**ب. القطيعة الابستيمولوجية عند "غاستون باشلار".**

* **غاستون باشلار (Gaston Bachelard)**

فيلسوف فرنسي ولد في بارسورب أوب عام 1884، حصل عام 1912 على اجازة في الرياضيات، درس الفيزياء والكيمياء ثم تابع تقدمه في الجامعة حتى حصل على شهادة التبريز في الفلسفة عام 1922، ثم دكتوراه في الآداب عام 1927. درس في السوربون مادة فليفة العلوم حتى عام 1955 حيث أصبح أستاذا فخريا، ثم أشرف على معهد العلوم الأخلاقية والإنسانية، وحاز على الجائزة القومية للآداب عام 1961.

**من أهم مؤلفاته**: "محاولة في المعرفة المقاربة"، "القيمة الاستقرائية للنسبية"، "تكوين الروح العلمي"، و"مساهمة في التحليل النفسي للمعرفة الموضوعية"، "الروح العلمي الجديد" (1934)، و"المادية العقلية" (1953)، توفي في باريس سنة 1962.

* **تعريف القطيعة الابستيمولوجية.**

يعرف **"غاستون باشلار"** القطيعة الابستيمولوجية أنها: " القفزات الكيفية في تطور العلوم ويكون من نتائجها تجاوز العوائق الابستيمولوجية القائمة".

يقول محمد الوقيدي: " ليست هناك قطيعة ابستيمولوجية حاسمة ونهائية، فكل فترة من تاريخ المعرفة العلمية عوائقها، وعندما تحدث قطيعة ابستيمولوجية داخل فكر علمي لكي تسمح بفضل ذلك قيام فكر علمي جديد".

ويعتبر **"باشلار"** أن "تاريخ العلوم جدل بين العوائق الابستيمولوجية والقطيعات الابستيمولوجية".

هذا الجدل الذي يتحدث عنه باشلار خاص بالتاريخ العلمي يعني أمرين:-

* **أولهما:** أنه لا نهاية لتاريخ العلوم، وأن ليس هناك حقيقة علمية ما تعتبر نهائية؛ أي أن العلم يتطور بإخضاع حقائقه ومبادئه للجدل (المراجعة).
* **ثانيهما:** يتعلق بالعلاقة ضمن ذلك التاريخ بين القديم والجديد.

أي إن تاريخ العلوم قفزات كيفية تحقق قطيعة بين الفكر العلمي والمعرفة العامة، بحيث لم يعد من الممكن النظر إلى النظريات المعاصرة من وجهة نظر المعرفة العامة.

يتحدث باشلار في كتاباته عن مفهوم القطيعة الابستيمولوجية الى مستويين هما:-

* قطيعة ابستيمولوجية بين المعرفة العامة والمعرفة العلمية.
* قطيعة ابستيمولوجية تتحقق مع النظريات العلمية المعاصرة بين العلم في الماضي والفكر العلمي الجديد (الابستيمولوجيا التاريخية عند غاستون باشلار).

**أولا: القطيعة الابستيمولوجية بين المعرفة العامة والمعرفة العلمية.**

يرد باشلار على دعاة الاستمرارية ببعض الأمثلة منذ اكتشاف الحقائق العلمية المعاصرة، لكي يبين أن فهمها يتم انطلاقا من المعرفة العامة، ومن أهم مظاهر هذه القطيعة ما يلي:-

* **المظهر الأول:** هو أن دعاة الاستمرارية يرجعون إلى إثارة مسألة الاستمرارية في التاريخ بصفة عامة، لأنهم يروا تاريخ العلوم جزء من التاريخ العام، باعتبار أن التاريخ سلسلة مترابطة من الأحداث، فيقول هيغل: " إن كل دولة تجسد مرحلة جزئية من الفكرة الكلية والفكرة تفرض نفسها في التاريخ في مراحل مختلفة من الزمان والمرحلة السائدة في حقبة من الحقب يجسدها شعب معين وهذه المراحل المتتالية تشكل تاريخ العالم".

كما يقول ابن خلدون: " إن التاريخ يدور حول نفسه، وإن الدول التي تتداول الجكم، والتي لا تتعدى فيه حكم كل منها عمر الإنسان، أنها تنطلق الواحدة منها من أساس الذي انطلقت منه الدول السابقة".

يرد باشلار على ذلك بقوله: " إن ما يميز العلم الحديث هو الموضوعية وليس الشمولية الكلية، فلا مناص للفكر من أن يكون موضوعيا، ولن يكون شموليا إلا إذا استطاع ذلك وإلا إذا كان الواقع يسمح بذلك". أي إن الموضوعية تتعين في الدقة والتناسق بين المحمولات وليس في تجميع موضوعات متناظرة نسبيا.

يقدم لنا باشلار مثال على عدم استمرارية المعرفة العامة إلى المعرفة العلمية، فهو يفرق بين المصباح الكهربائي والمصباح العادي، إذ ليسن عناك علاقة تكوينية بينهما، ولكن هما متماثلان إذ يضيئان عند سقوط الظلام، إذن فالمعرفة العامة ليست استمرار للمعرفة العلمية.

* **المظهر الثاني:** يحاولون في هذا المظهر دعاة الاستمرارية الحديث عن الاكتشافات العلمية أنها نتيجة التأثيرات، غير أن هذا المفهوم للتأثير في نظر باشلار لا يفسر السير الخاص لتاريخ المعرفة العلمية ولا يعطي الدلالات الحقيقية للاكتشافات العلمية الجديدة.
* **المظهر الثالث:** يتمثل في دعاة الاستمرارية إلى اللغة العلنية، يرى باشلار أن اللغة العلمية تمثل قطيعة مع اللغة العادية.
* **المظهر الرابع:** يرى باشلار أن ""المعرفة العلمية تفصل بينهما بالرجوع المستمر إلى التركيب العقلي.

**ثانيا: الابستيمولوجيا التاريخية عند "غاستون باشلار.**

درس باشلار عدم ثبات النظريات العلمية، وضرورة تحركها وتغيرها مع اختلاف المراحل التاريخية، وأكد أن الصواب يتولد من المحاولات الخاطئة، وقد كان اهتمام باشلار منصبا على التفكير والتساؤل حول الثورة العلمية المعاصرة والمجسدة في الهندية الاقليدية والنظرية النسبية وكل ما تحقق في مجال اللامتناهيات في الصغر والكبر والتعقيد، وكانت ميزة باشلار الانطلاق من أنه في العلم ليس هناك حقائق أولية بل أخطاء أولية. وتميز اسهامه في مجال الابستيمولوجيا ب:-

**أ- نظرية المقاربة العلمية:** والتي تقوم على رسم ووصف المعرفة العلمية باعتبارها مقاربة للموضوع، وهذه النظرية تذهب وبشكل مؤكد من العقلي إلى الواقعي، فالفكر العلمي هو بالدرجة الأولى تطبيق ذو قدرة على التحقيق وعلاقة التجربة بالنظرية هي علاقة جدلية (حركة مزدوجة) لذا يجب:-

* ادراك الفكر العلمي المعاصر في جدله.
* عدم وجود ابستيمولوجيا موحدة، اكل مجال علمي ابستيمولوجيته وهذا عكس الوضعية التي تفترض وحدة المنهج والنموذج.
* وظيفة الابستيمولوجي: شرح تركيب العقل والتجربة تركيبا متحركا متغيرا، والعلاقة بينهما تكمن في أن الفكر العقلاني يسبق الاتصال بالتجربة، ولكن التجربة تأتي بدورها لتفجر كل التنظيمات العقلية التي يكون الإنسان قد بناها في ذهنه.

**ب-** **الابستيمولوجيا اللاديكارتية:** إن تأسيس هذا النمط من الابستيمولوجيا الجديدة جاء بناء على السؤال: هل تكفي الابستيمولوجيا الديكارتية أو التقليدية المعتمدة على الأفكار البسيطة إلى تفكير الثورة العلمية المعاصرة؟

يرى باشلار أن الطريقة الديكارتية طريقة إرجاعية وليست استقرائية، وإذا كانت قد نجحت في تفسير العالم المبسط فإنها فاشلة في تفسير العالم المعقد هو الموضوع الحقيقي للفكر العلمي المعاصر وللابستيمولوجيا على وجه التحديد.

**ج- فلسفة النفي:** إن عقلانية بدون أدلة حسية لا يمكن اقتناؤها، وتجربة بدون قوانين واضحة متناسقة، استنتاجية لا يمكن اعتمادها. تجلى هذا الموقف في مناقشة باشلار لمسألتين هامتين في الفلسفة والمعرفة العلمية وهما: العقل والحقيقة.

* **في مفهوم العقل:** يرى باشلار أن العقل يتأثر بتطور الأفكار العلمية، كما أنه لا يمكن تبرير فكرة الحدود المتعلقة بقدرة العقل على المعرفة من الناحية الابستيمولوجية.
* **في مفهوم الحقيقة:** ليس هناك حقيقة ثابتة أو نهائية وهذا هو خطأ الفلسفات التقليدية التي بنت أنساقها الفلسفية على اعتبارات علمية نهائية أو اعتقاد بنتائج نهائية للعلم، غير أن الحقيقة العلمية هي حقيقة نسبية، حقيقة في جوهرها لها مستقبل، وهي لا تعرف الحدود، فهي مرتبطة بتطور وسائلنا وناهجنا المعرفية وهي حقيقة لها تاريخ.